

اهـءاء

إلى اللى ساعءءنى فى الوصول لءلك العالم الغىبى... زوجتى .

إلى اللى ءعش فى عالمى الءاص و أنا أومن بها ...إيمان .

الصّرخة

كانت هناك صرخةٌ مدويةٌ، شَقَّتْ سكونَ الليل، أيقظت النائم وأفزعت اليقظان، وذلك في السّاعة الأخيرة من الليل قبل الفجر، والتي يكون فيها ظلامُ الليل أشدَّ سوادًا.

و ذلك في إحدى قرى صعيد مصر و التي تشتهر بزراعة قصب السكر، وتحديداً في إحدى مدارسها. تلك المدرسة التي تحيط بها الأراضي الزراعية من كل جانب. وتنقسم إلى أربعة مباني.

المبنى الأول هو مبْنى حديث تمّ تصميمه من فترةٍ وجيزةٍ، ويصل إلى أربعة أدوار.

والمبنى الثاني هو مبْنى قديمٍ من ثلاثة أدوار، والثالث مبْنى أرضيٍّ خاصٌّ بالمجالات المدرسية مثل الزراعة والصناعة والمكتبة، وأمّا المبنى الرابع خاصٌّ بالقسم الإداري.

وفي الصباح ، تحدث الناس عن هذه الصرخة، وما أحدثته من فزعٍ، ولكنهم كانوا يجهلون مصدرها. وكانت هناك أسئلةٌ متداولةٌ على ألسنة الناس مثل: ما سبب هذه الصرخة؟ ومن صاحبها؟ ومن أين تأتي؟

وفي الليلة الثانية وفي نفس الوقت السابق، انطلقت نفس الصرخة تشق سكون الليل، فمن سمعها تشبث بمكانه لأنها لم تكن صرخةً عاديةً؛ فكل من سمعها شعر أن من يصرخها أمامه.

وفي صباح اليوم الثاني اجتمع الناس يتحدثون عن الصرخة التي تكررت لليلتين متتاليتين، وكلامهم لا يخلو من نبرة القلق، حتى قال علي (وكان أحد سائقي التاكسي): يا جماعة هذه الصرخة مصدرها المدرسة.

فيردّ عليه طه (وكان من مزارعي قصب السكر): ماذا تقصد بأن المدرسة هي مصدر الصرخة؟

علي: أنتم تفهمون قصدي جيداً.

طه: تكلم يا علي ولا تتلاعب بنا.

علي: هل نسيتم ماذا حدث العام الماضي عندما عثر الأنفار الذين كانوا يعملون في أرض طه على الجثة المحروقة، وكانت مجهولةً لنا جميعاً. وأنت يا طه كنت ستذهب ضحية هذه الجثة لأنهم عثروا عليها في أرضك وبعد تمشيط المكان وجدت الشرطة آثار من الدماء بجوار باب المدرسة من الخارج حتي أنهم شكوا بأنها قد يكون قتلت داخل المدرسة.

عوض (وهو أحد جزّاري القرية): ماذا تقصد يا علي بكلامك هذا؟ أن هناك شبْحاً في المدرسة للجثة المجهولة؟

طه: هذا كلام تخاريف. لا توجد لدينا أشباح. هذه الصرخة ممكن تكون من شخصٍ يريد تخويف القرية.

ثم تدخّل الأستاذ توفيق في الحديث (وكان يعمل بالمدرسة): في أحيانٍ كثيرةٍ، كنا نجد في المدرسة أمورًا غريبةً. مثلاً كنا نجد المقاعدَ التي يجلس عليها التلاميذُ مبعثرةً، والأقفال التي على الأبواب مكسورة، وكنا نلاحظ في معامل العلوم اختفاء بعض الأجهزة، وكنا نقول إن هناك من يأتون ليلاً للسرقة، فعندما لا يجدون شيئاً يخربون ويكسّرون. وفي إحدى المرات، وجدت الأستاذة رضوى أجهزة معمل الحاسب الآلي تعمل، ولقد أكدت بأنها أغلقت الأجهزة والكهرباء قبل أن تغادر المدرسة.

تتحنن عبدالحكيم(وهو صاحب محل السباكة بالقرية): أقترح عليكم يا سادة أن نجتمع هذه الليلة في الوقت الذي نسمع فيه الصرخة عند المدرسة، وحينئذٍ سنعرف المصدرَ الحقيقي لها ومن صاحبها، فما رأيكم؟

علي: أنا موافق على هذا الاقتراح.

توفيق: وأنا أيضاً موافق.

طه: توكلنا على الله. وفي النهاية سنجد أن أمر هذه الصرخة لعبة سخيفة لتخويف القرية.

واتفق الجميع على الحضور أمام المدرسة في الساعة الأخيرة من الليل قبل الفجر. وفي الموعد المتفق عليه، كان أول الحاضرين هو عبدالحكيم صاحب الاقتراح، يليه طه مزارع القصب، ثم عوض الجزار، وأخيراً توفيق المدرس. وتخلف عنهم علي سائق التاكسي بحجة مرض زوجته المفاجئ. والليل يخيم بعباءته السوداء، والسكون يفرش هدوءه على القرية، والقمر محاق.

حتى قال عبدالحكيم: لنا أكثر من نصف ساعة، ولم يحدث شيء.

ولم يكد ينته من كلامه حتى انقطعت الكهرباء!

توفيق: ربنا يستر. لقد انقطعت الكهرباء.

عوض: لو سمحتم شغلوا كشافات تليفوناتكم المحمولة.

طه صارخاً: هل رأيتم ما رأيتم؟

عوض: وماذا رأيتم؟

طه: لقد رأيتم ظلاً يسير بسرعة في اتجاهنا.

عوض: ربما يُخَيِّل لك مع الظلام. عندما تأتي الكهرباء، سيتضح لنا كل شيء.

توفيق(وقد انتابه الرعب): هيا بنا نذهب من هنا.

عبدالحكيم: أنت خائف يا توفيق؟

توفيق: لا... لا، أنا لست خائفاً، ولكن الوضع أصبح مقلقاً بعض الشيء. سوف أدخل المدرسة.

واتجه إلى باب المدرسة، وهو يتحسس الطريق كالضئير، ثم ساروا جميعاً وراءه.

توفيق: ماذا نفعل بعد ذلك؟ أليس من الأفضل أن نذهب ونأتي في يوم آخر تكون الكهرباء فيه موجودة؟

عوض: أنت خائف فعلاً يا توفيق كما قال عبدالحكيم.

توفيق(ونبرة الخوف في كلامه): يا جماعة، أنا رأيت ظلالاً سوداء تطير في الهواء.

وفجأة قال طه: ما هذا الذي أراه؟ مثلما قال توفيق، هناك ظلالٌ تتجه إلينا.

وعلى أثر هذا الكلام، اتجه توفيق مسرعاً نحو باب المدرسة للخروج منها، ولكنه وجد الباب قد أُغلق، ولم يستطع فتحه.

فأخذ يصرخ قائلاً: باب المدرسة... من الذي أغلق باب المدرسة؟

عوض: لا أحد.

توفيق: لقد تم حبسنا في المدرسة. لا بد وأنها مكيدة. يجب أن نخرج من المدرسة فوراً.

وأخذ يحرك باب المدرسة، ويسحبه إلى الداخل محاولاً فتحه، ولكنه فشل، فألقى بجسده على الباب، ونظر خلفه، فوجد امرأة معلقة في الهواء، يكسوها سوادٌ أشد من سواد الفحم، لها شعر كثيف يتطاير في الهواء، يغطي بعضه وجهها، فلا تظهر منه أية ملامح، وتبسط ذراعيها في الهواء كأنها أجنحة تطير بهما، ورأسها يجثو فوق صدرها.

تشبث توفيق بمكانه وهو لا يستطيع الحركة ولا الكلام، وأنفاسه متقطعة تخرج منه بصعوبة كأنه أصيب بضيق تنفس، وتوقفت حدقة عينه عن الحركة، حتى حركت المرأة الشبح يديها، وأمسكت بشعر رأسها لتزيحه عن وجهها، فرأى وجهها كأنه عظام مجمعة بعيون يتطاير منها لهيبٌ أحمر. ثم فتحت فمها كأنها ستبتلعها، ولكنها أخرجت الصرخة التي أفرزت الجميع، وأخذت تصرخ وتصرخ حتى سقط على الأرض، ثم طارت إلى أعلى، واختفت عن الأعين.

وكان عبدالحكيم وطه وعوض ينظرون إلى ما حدث أمامهم ولكنهم بلا حراك. وعندما اختفت، هرعوا إلى توفيق فوجدوه قد فارق الحياة، فأصابهم الخوف الشديد، وخشوا على أنفسهم، وحاولوا فتح باب المدرسة، ولكن بلا فائدة، فأخذوا يجرون إلى داخل المدرسة، فنفقوا وذهب كل واحد منهم في ناحية غير الأخرى. فذهب طه تجاه المبنى الحديث، فأخذ يرتقي سلم المبنى حتى وصل إلى الدور الرابع، وأخذ ينظر حوله بأنفاس لاهثة، فنظر إلى أسفل المبنى، حتى وجدها تعلو من أسفل بشكلها المخيف، وشعرها المتطاير، ووجهها المرعب، فشقق شهقة كادت تقطع أنفاسه. ثم اختفت من أمامه، فيدور

بجسمه ليضع ظهره على درابزين السلم ليجدها أمامه، تقترب منه، وتمد رأسها إلى رأسه حتى يلامس شعرها وجهه، ثم تزيج شعرها لتظهر رأسها ذات الطابع الجمجمي، وتفتح فمها لتصرخ صرختها المخيفة، فيميل طه إلى الخلف أكثر من اللازم ، فيسقط على الأرض من الدور الرابع ليفقد حياته.

واتجه عبدالحكيم إلى مبنى المدرسة القديم حتى وصل إلى الدور الثالث، فدخل أحد الفصول، وأغلق الباب خلفه جيداً، وسحب المقاعد الخاصة بالتلاميذ، ووضعها خلف الباب حتى يطمئن أنه لن يدخل خلفه أحد. ويدور حول نفسه مستغيثاً، فيجد إحدى النوافذ مفتوحة، فيتجه إليها، ويُخرج رأسه من خلالها، ويصرخ بأعلى صوته رجاءً أن ينقذه أحد، ولكنه لا يجد أمامه إلا المساحة المتسعة بالأراضي الزراعية، فلم يسمعه أحد، فيصيبه اليأس والخيبة. وما زال على هذه الحالة حتى وجد يدين عاريتين تمسكان رأسه بقوة بالغة، ولا يستطيع الفرار منهما ، فاقتربت من رأسه، ونظرت في عينيه من وراء الشعر النازل على وجهها، وصرخت صرختها المرعبة، وطارت إلى أعلى وهي تمسك برأسه ليسقط الجسد إلى أسفل بلا رأس.

وكان عوض يسمع تلك الصرخات ولا يعرف بأي مكان يلوذ ،ويزداد خوفه .ويجري في كل مكان لعله يجد مكاناً يختبئ فيه ، حتى وجد نفسه أمام أحد معامل المدرسة الخاصة بالكمبيوتر، ولكنه كان مغلقاً بقل، فذهب يبحث عن شيء يكسر به القفل حتى وجد قضيباً من الحديد، أخذه وجرى به كالمجنون إلى المعمل. ومع عدة ضرباتٍ، كسر القفل، ودخل حجرة المعمل، وأغلقها فأحكم إغلاقها، وأسند ظهره خلف الباب محاولاً النقاط أنفاسه مغمضاً عينيه لكي يشعر بالراحة لبعض الوقت، ثم يفتحهما ليجد أجهزة الكمبيوتر كلها مفتوحة و الكهرباء مقطوعة عنها. وما أفزعه أكثر أن الأجهزة عليها صورة تلك المرأة الشبح ، فيجري ليقفلها، ولكن بلا استجابة! ويتذكر جهازه المحمول الذي معه، فيخرجه من جيبه بأيدي مرتعشة ليسقط منه، ويلتقطه ويحاول الاتصال بأي أحد، ولكن لا توجد شبكة. ف شعر أنه معزول عن العالم الخارجي. وفجأةً تنطفئ أجهزة الكمبيوتر، وتسكن الحركة، ويحاول الخروج، ولكن وجد باب المعمل مغلق من الخارج، فاستسلم وألقى بجسده على الأرض وأغمض عينيه وهو لا يسمع شيئاً سوى أنفاسه التي يلتقطها بصعوبة الصرخات التي تتوالى، وكانت معها هذه المرة ضحكات لا تقل إفزاعاً عن الصرخات التي تبعث في النفس الخوف الشديد.

ومدّ يده مرة أخرى ليفتح الباب، ففتح معه في هذه المرة وبسرعة جرّ جسده للخارج، ليجد نور الفجر أوشك أن يزيج ظلام الليل، فخرجت منه ابتسامة تغلب عليها نبرة البكاء، وحاول أن يقف، ولكنه وجد شيئاً يمسكهم رجله ليسحبّه ويطيّر به إلى أعلى.

فيختفي عوض، والصرخة تملأ أرجاء المكان...

انتشر خبر ما حدث وذلك عندما ذهب عبد الرحيم عامل المدرسة ليفتح المدرسة و عند دفعه للباب للداخل وجد صعوبة كأن هناك من يقف خلفه ليمنعه من فتحه، فلم تعوقه إعاقة التي في رجله اليمنى واستناده على عكازه الخشبي من دفعه للباب بقوة حتى فتح منه جانب سمح له بدخوله، فأصابته نوبة ذهول عندما وجد توفيق ملقى على الأرض خلف الباب

فأخذ ينظر إليه وينظر إلى المدرسة بنظرات سريعة فشعر أن هناك شيئاً قد حدث، فقام مسرعاً بعمل اللازم فاتصل بمدير المدرسة والذي بدوره اتصل بالشرطة، والتي ملئت المكان بصراخ سياراتها وانتشار عساكرها ،وبذلك يكون الخبر انتشر فى القرية .

وبعد حصر الجثث تم العثور على جثة طه و جثة عبدالحكيم بدون الرأس واختفاء جثة عوض، وكانت المفاجئة أن توفيق لم يمت كما ظنوا فلقد أغمى عليه من شدة خوفه وفى المشفى أفاق من إغمائه وقص للشرطة كل ما حدث.

وتم تحويل القضية إلى النيابة فوقف توفيق يعيد الأحداث مرة أخرى أمام وكيل النيابة الذي كاد أن يتهمه بالجنون لولا أنه سئل بعض أهل القرية عن الصرخة فأكدوا كلامه على أنه كانت هناك صرخة لليلتين متتاليتين .

وكان من الضروري أن يقف عبدالرحيم عامل المدرسة أمام وكيل النيابة والذي طلب منه أن يجلس أمامه على الكرسي بعد أن رآه مستنداً على عكازه الخشبي .

- عبدالرحيم بحكم عمالك فى المدرسة كنت أول من رأى كل شئ .
- صحيح يا سيادة الوكيل.
- ممكن تحكى لى كل شئ بالتفصيل.
- قص عبدالرحيم من أول ولوجه إلى المدرسة واتصاله بالمدير ثم مجيء الشرطة.
- مدير المدرسة قال إنك أنت العامل النوبتجفى هذه الليلة فلماذا لم تبت فى المدرسة؟
- لأنني سمعت الصرخة التي كانت تأتي ليلاً فخشيت أن أذهب وأبقى وحدي.
- هل موضوع الصرخة صحيح؟
- كل القرية سمعتها.
- لكن هناك بعض الناس كذبت تلك الأقاويل وقالت أن هناك من فعل ذلك لتخويف القرية ومنهم من قال لم نسمع تلك الصرخة.
- الله أعلم ولكنى سمعتها.
- عبدالرحيم أنت متأكد أنك أغلقت باب المدرسة بالمفتاح.
- نعم لقد أغلقتة.
- إذاً كيف دخل طه وتوفيق وعبدالحكيم و عوض إلى المدرسة ليلاً.

- ربما الأستاذ توفيق كان معه مفتاح لأنه يعمل بالمدرسة.
- مدير المدرسة أكد لي أن مفتاح المدرسة لا يوجد إلا مع العمال.
- صدقني يا سيادة الوكيل أنا لا أعلم شيئاً عن الذي حدث.
- عبدالرحيم أنت وتوفيق متهمان عن المجزرة التي حدثت في المدرسة.
- يقوم عبدالرحيم من على كرسيه مستنداً على عكازه الخشبي صارخاً والله لا أنا ولا الأستاذ توفيق لنا يد في الذي حدث.

- من أين أتيت بهذه الثقة؟
 - لأنها هي التي فعلت ذلك.
 - من تقصد؟
 - سوف أقص عليك كل شيء ولكن أرجوا أن تصدقني.
- رجع وكيل النيابة إلى الخلف مستنداً على ظهر كرسيه الجلدي الوثير وهو يقول تكلم يا عبدالرحيم وقول كل شيء لأن ذلك لصالحك.

- في العام الماضي خلال الأجازة الصيفية، وفي يوم كان على النوبتيه، وأثناء ذهابي إلى المدرسة ليلاً قابلت طه وكان مهموماً ولما سئلته عن ذلك قال أنه تشاجر مع زوجته وحلف عليها يمين الطلاق بأنه لن يبيت هذه الليلة في البيت وهو لا يعرف أين سيذهب ولا يريد لأي شخص في القرية أن يعرف ما حدث بينه وبين زوجته فعرضت عليه أن يبيت معي في المدرسة فوافق ثم حذرتة من أن يعرف أي شخص أنه بات معي حتى لا يكون سبباً في حدوث مشاكل لي وفي تمام الساعة الثانية عشر ليلاً أجرى اتصالاً تليفونياً بمحموله بإحدى الأشخاص وأخبره أنه في المدرسة، فسئلته بمن إتصل فقال إنه عوض الجزار وعاتبته على إخباره بذلك فقال لا تخف فإنه يعرف كل شيء ولن يخبر أحد.

وبعد نصف ساعة اتصل به عوض وأخبره إنه أمام باب المدرسة، فذهب وفتح له وعندما دخلا على كانت المفاجئة، لقد كان معهم شخص ثالث وكانت امرأة فلما رأيتها استشطت غضباً وصرخت في وجهها من أنت ومن الذي جاء بك إلى هنا وطه يحاول أن يهدأ من روعى: لا تخف إنها معي.

وعندما رأت هذه المرأة إصرارى على خروجها من المدرسة وهما يرفضان، صرخت فينا بأن نصمت وقالت إنها سوف تخرج الآن ولكنها تريد مبلغ من المال مقابل مجيئها، وهما يحاولان أن يطمئناها بأن كل شيء سوف يعود إلى مجراه

الطبيعى وأنا أصرخ فى وجهها بأن تخرج الآن وهى تقول سأخرج عندما أخذ حقى وإلا سأفضحكم فى القرية، فقال طه لن ندفع لكى وأذهبى من هنا، فخرجت بسرعة وهى تتوعد بالفضيحة فخرج وراءها عوض يحاول تهدئتها وهى ترفض الإستماع و تهدده بالفضيحة ثم سمعنا صرخات متتالية يشوبها ألم فخرجنا مسرعين فوجدنا عوض منقض عليها ويطعنها بمطواه التى لا تفارق جيبه، وهى تصرخ ألماً وظلت تصرخ حتى أصبحت جثة هامة ونحن فى ذهول تام لهول ما رأينا وكأننى فقدت النطق لا أجد كلاماً أقوله ويجرى طه على عوض : ماذا فعلت يا مجنون نحن فى مصيبة بسبب تهورك أنت معتقد أنها بهيمه مثل البهائم التى تذبحها وعوض يقول:كانت تهددنا بالفضيحة ولم تستمع لكلامى فوجدت نفسى من غير أن أشعر منقض عليها لأقتلها ،والآن ما حدث قد حدث، فما الحل؟ وأنا واقف فى مكانى أنظر إليهما لا أصدق ما أرى وشعرت بأن حياتى قد تدمرت وأن حبل المشنقة سيلف حول عنقى والفضيحة ستقضى على أسرتى وتوالت الأفكار السوداء فيقطع طه على صمتى:لقد وجدت الحل ويرد عليه عوض: تكلم بسرعة فيستطرد كلامه : أنا لى أرض زراعية مزروعة بقصب السكر بجانب المدرسة سوف نضع الجثة وسط هذه الأرض ثم نشعل النار فى القصب بجانب الجثة فتلتهمها النار وتقضى على ملامحها ولن يستطيع أحد أن يعرف ماهية هذه الجثة وأما إشتعال النار فى قصب السكر فهذا أمر قد يحدث فى أى أرض زراعية مزروعة بقصب السكر لذا لن يكون هناك سين و جيم.

ولكنى رددت عليه قائلاً: ليس الأمر كما تظن سوف يكون هناك سين وجيم وذلك عند كسر محصول القصب لشحنه إلى شركة السكر سوف تظهر الجثة وسوف تقوم بإبلاغ الشرطة لأنها فى أرضك وستكون أول من يُسأل وطبعاً وسوف تنكر معرفتك بها وأن هناك من وضعها فى أرضك ليخفيها وسوف تربط الشرطة حريق القصب بالجثة وذلك حتى لا يتعرف عليها أحد.

عوض: لن تستطيع الشرطة توجيه إليك إي اتهام لعدم معرفة هوية صاحبة الجثة و سوف تقيد ضد مجهول.

طه : و لكن لو جاء بلاغ إلي قسم الشرطة بأن صاحبة هذه الجثة مفقودة فلسوف تعيد التحقيق مرة أخرى.

عوض بسعادة من نجا من حبل المشنقة : لن يحدث ذلك لأن هذه المرأة ليس لها أحد يسأل عنها فهي مجهولة فى حياتها و ستظل مجهولة فى مماتها .

ثم طلب منى طه أن أفتح خرطوم المياه لرش أرضية المدرسة ليزيل أي آثار للدماء و هددني بأنني مشترك معهم فى الجريمة و أن أي كلام سوف يلفظ به لساني فهو ضدي .

و مرت سنة كاملة لهذه الأحداث و لم يحدث شيء حتي حدثت هذه الصرخة التي أعادت أحداث الماضي إلي الحاضر و العجيب أن اليوم الذي حدثت فيه جرائم القتل في المدرسة هو نفس اليوم الذي قتلت فيه هذه المرأة حتي الصرخة هي نفسها التي كانت تصرخها عندما كان عوض يقتلها، فعندما سمعتها تذكرتها فخفت أن أذهب إلي المدرسة و أقضي فيها الليل وحدي فمكثت في بيتي أترقب حدوث أي شيء.

بعد هذه الجملة صمت عبدالرحيم و هو ينظر إلي وكيل النيابة الذي قام من كرسيه و اتجه إلي ثلاجه المكتبه و أخرج منها مشروباً غازياً و وضعه أمام عبدالرحيم: تريد مني أن أصدقك بأن شبّح هذه المرأة هو الذي فعل هذه المجزرة داخل المدرسة.

- لأنها الحقيقه ثم يتناول مشروبه الغازي ويستطرد كلامه : لا تنسى يا سيادة الوكيل أن الأستاذ توفيق رأى بنفسه كل شيء

- توفيق أغمى عليه ولم يري بقية الأحداث.

- لكنه رآها وسمع صرخاتها.

- ولو فرضنا جديلاً أن كلامك صحيح بأمر انتقام شبّح هذه المرأة من الذين قتلوها فهناك شخصية مفقودة وهو عوض. فأين هو؟

- الله أعلم.

- أمرنا نحن وليد فؤاد حسن وكيل نيابة قنا حبس عبدالرحيم رمضان متولي أربعة أيام على ذمة التحقيق و يراعي التجديد له في الميعاد.

إنزوى عبدالرحيم واقفاً في إحدى الأركان الأربعة لزنزانه الحبس مستنداً على عكازه الذي لا يفارقه مهموماً يفكر في مصيره وعواقب ما سوف يحدث له.

ويسمع صوتاً ينادى عليه بإسمه عبدالرحيم هو يعرفه جيداً أنه صوت الأستاذ توفيق.

- أستاذ توفيق لماذا أنت هنا؟

- لقد أمر وكيل النيابة بحبسي أربعة أيام على ذمة التحقيق.

- وأنا كذلك، أنه يوجه إليّ تهمة الإتهام بالقتل.

- أنت تفعل ذلك ولماذا ؟ ثم حالتك لا تسمح بأن تفعل كل ذلك.

- بالطبع سوف يكون معي شركاء في الجريمة.

- أخشى ما أفكر فيه أن يكون صحيح.

- وما هو؟

- هو أنني شريكك في القتل.

- أستاذ توفيق انت أقحمت نفسك في هذه الأحداث وليس لك علاقة في أي شيء وأنت بريء وسوف أشهد بذلك.

- وأنت بريء مثلي وسوف أشهد أيضاً بذلك.

- أنا فعلاً بريء من تلك المجزرة ولكني ليس بريء من تلك الجريمة.

- أي جريمة تقصد؟

قص عبدالرحيم على توفيق أحداث الجريمة التي حدثت في العام الماضي داخل المدرسة وكيف كان دوره فيها ، هنا أسند توفيق ظهره على الحائط وألقى ببصره على الكوة الصغيرة في أعلى الحائط الذي أمامه والمزينة بالحديد طولاً وعرضاً تكسوها شبكة من السلك فهي بالكاد تسمح بدخول الهواء.

- تقصد أن هذه المرأة التي قتلتموها هي صاحبة الصرخة وهي التي كانت تنتقم منكم.

- أنا لم أقتل أحد هم الذين قتلوها.

ولكنك مشترك معهم في الجريمة ..ثم أردف : لكن لماذا قتلت عبدالحكيم وهو لم يشترك معكم في الجريمة؟

لقد سألني وكيل النيابة نفس السؤال ..صمت عبدالرحيم قليلاً فلم يقطع توفيق عليه صمته ليستطرد : يقع منزل عبدالحكيم في مواجهة المدرسة من الأمام فلو نظر من شرفة منزله لرأي الداخل و الخارج من باب المدرسة و كانت زوجته تحظر عليه تدخين السجائر في البيت فكانت تضيق عليه حتي يقلع عن التدخين فأحياناً كثيرة عندما تنام زوجته وتتوق نفسه إلي سيجارة يخرج إلي الشرفة ليفعل فعلته ومن سوء حظه أنه في لحظة دخول المرأة مع عوض إلي المدرسة كان يقف في الشرفة ينفث دخان سيجارته التي قضت علي حياته فنزل مسرعاً بدون أن يشعر به أحد من أهل بيته و تسلق سور المدرسة و اختبأ في ركن مظلم و أثناء قتلها رأيت عبدالحكيم فمدت إليه يدها لتستغيثه و ظلت تستغيثه ولكنه ظل في مكانه لا يلبي إغاثتها حتي فارقتها الحياة ثم بغتنا بخروجه من ركنه المظلم وهو يصرخ فينا ويجري عليه عوض ويمسكه من تلايبه يهدده بالقتل إن لم يسكت فينتزعه طه من يديه ويحاول تهدئته ليشرح له كل شيء فهو ابن عمه كما تعرف فكان سترأ له علي جريمته و كلما تكلم عبدالحكيم معي عن هذا اليوم يقول لا أستطيع أن أنسي نظرات هذه المرأة

و هي تنظر إليّ لينقذها من عوض، أحياناً أشعر أنها سوف تأتي لتنتقم مني علي عدم مساعدتي لها .. أخرج عبدالرحيم آهه من صدره بحرقه ندم ثم تتم قانلاً و لقد كان. و لسوف تبحث عني لتقتلني كما قتلتهم جميعاً فلم يبق غيري.

- لا تخف ولا تفكر كثيراً وحاول أن تنام لقد مررت بيوم شاق.

ألقى عبدالرحيم بجسده على الأرض متكوماً داخل نفسه كالجنين في بطن أمه فأغمض عينيه وفي قرارة نفسه يريد أن يحلم بأن كل شيء قد انتهى وأنه الآن في بيته مع زوجته وأولاده والطمأنينه تملأ صدورهم سعادته ومرح ،ثم فتح عينيه ليجد توفيق بعيداً عنه وكل ما معهم في الزنزانة صامتين لا حراك لهم كأنهم يرون ما لا يرى فيسمع الصرخه التي كان يخاف منها فينظر إلى صاحبته ويحاول أن يقف فنسى عكازه نائماً على الأرض تمنى أن يكون مكانه وامتلئت جوانحه بحتميه مؤكده استسلم لها إقتربت منه وحوطته بذراعيها القويتين واختفى بداخلها فاختفت هي بدورها ولم يبق إلا عكازه الخشبي.وتوفيق يصرخ أنها هالتي رأيتها في المدرسة ويأتي وكيل النيابة مسرعاً من بيته قبيل الفجر على أثر مكالمه تليفونية بأن عبدالرحيم قد اختفى من الزنزانة وهو يصدق ولا يصدق فيأمر بالبحث عنه بشكل مكثف. وجاءت الكلاب البوليسية تشم رائحة عكازه فجرت مسرعة ناحية الأرض الزراعية التي بجوار المدرسة إنها أرض طه وعساكر الشرطه تجرى خلفها فتقف الكلاب ويزداد نباحها لقد وجدت بغيتها والمفاجئه كانت هناك جثتان جثة عبدالرحيم مقطوعه الرأس وأخرى محروقه،بعد فحص الطب الشرعي تم التعرف عليها على أنها جثة عوض المختفيه.

أراد وكيل النيابة أن يقيد القضية ضد مجهول فهي لم تكن مجهوله فهناك من رآها وسمع صراخها لكن من سيصدق أن الجاني هو شبح امراه.

إذ لم تصدق أنت فهناك من يصدق،وإذا أردت التصديق فانتظر إلى العام القادم في نفس الميعاد وفي نفس القريه وفي نفس المدرسة ربما تسمع صرخاتها فتصدق ولكن في وقتها قد لا ينفحك تصديقك بشئ لأنك سوف تكون معها.

آدم

رنات متواصلة على التليفون المحمول الخاص بالعم رضا. وعلى أثر هذه الرنات، يستيقظ من نومه بعد منتصف الليل، فيتناول نظارته الطبية، ويقوم بإزالة الأباجورة التي بجانب السرير، ثم يتناول تليفونه المحمول ليرى من المتصل في هذا الوقت المتأخر من الليل، ويقرأ اسم المتصل على شاشة التليفون ، ويُفاجأ بأنه آدم ابن أخيه (راضي) المقيم في إسبانيا.

فيفتح عليه قائلاً: السلام عليكم يا آدم.

آدم: أهلاً عمي رضا. كيف حالك وحال أسرتك؟

العم رضا عليه، وآثار القلق على وجهه: كلهم بخير والحمد لله. وأنت كيف حالك؟ ولماذا تتصل في هذا الوقت المتأخر من الليل؟ أهنأك أمر جعلك لا تصبر حتى يأتي النهار؟ لقد أقلقنتني.

آدم: أنا آسف يا عمي. أنا لم أنتبه لفرق الوقت بين إسبانيا ومصر، وليس هناك شيء يؤدي للقلق غير أنني سوف أهبط إلى مصر خلال أسبوع، وأردت أن أتزوج. وبما أنك يا عمي كبير العائلة وليس لي أحد بعد وفاة أبي وأمي إلا أنت، فأردت أن تختار لي عروساً تكون صالحة لي، وعندها الاستعداد للسفر معي لإسبانيا.

العم رضا بعد أن اطمأن قلبه من هذا الاتصال: أخيراً يا آدم فكرت في الزواج. وعلى كل حال هذا الأمر يسعدني، وأنا من الغد سوف أبدأ بالبحث عن عروس لك، وقبل أن تأتي من إسبانيا سوف أكون اخترتها لك.

آدم: شكراً لك يا عمي، وأنا آسف مرة أخرى على الإزعاج، ومع السلامة حتى أراك على أرض الوطن.

العم رضا: مع السلامة يا آدم حتى نلتقي.

نظر العم رضا إلى شاشة التليفون المحمول وهو في أشد الاستغراب، ويحدث نفسه: أنا دائماً أجعل التليفون في وضع صامت حتى لا يزعجني أحد بالليل، وأنا متأكد أنني جعلته صامتاً، فكيف أصبح في الوضع العادي لسماع الرنات؟ ربما نسيت أن أجعله صامتاً؛ فكل شيء جائز.

لقد أصبح العم رضا كبير عائلته بعد أن توفي أخوه وزوجته في حادث سيارة مؤلم، ثم تولى هو تربية ابن أخيه آدم - وكان عمره حينئذ خمسة عشر عاماً - حتى انتهى من دراسته الجامعية في كلية التجارة، ثم سافر إلى إسبانيا ليعمل محاسب في شركة سياحية، وأصبحت الأمور معه في إسبانيا على ما يرام. ثم توفيت زوجة العم رضا، وأبناءؤه في عمر كبير لا يحتاجون إلى رعاية الأم، وهم ثلاثة أبناء؛ مراد الابن الأكبر وهو متزوج، وصباح وهي أوسط أبنائه وهي أيضاً متزوجة، ووحيد الابن الأصغر، وهو لا يفكر كثيراً في الزواج!

بدأ العم رضا بالبحث عن زوجة لابن أخيه آدم، وأخذ يسأل ابنته (صباح) عن عروس مناسبة. وكلما اختاروا واحدة، قالوا تصالح، ومرة أخرى قالوا: لا تصالح؛ وهكذا حتى احتاروا في الاختيار الأصلح له.

وفي اليوم الثالث من اتصال آدم بعمه رضا، وتقريباً في نفس الوقت السابق من الليل، وعلى أثر رنة تنبيه وصول رسالة على تليفونه المحمول، استيقظ العم رضا من نومه. والغريب في الأمر أنه شعر أن تنبيه الرسالة كان مستمراً، حتى أمسك تليفونه المحمول، وقام بفتح الرسالة، فتوقفت رنة تنبيه الرسالة، والعم رضا يشك ويقول: ربما أنا نائم ولا أدري ماذا يحدث. وكانت الرسالة من صديق قديم لم يره من فترة، وكان مضمونها: "رضا كيف حالك وحال أسرتك الكريمة؟ هل ما زلت تذكرني أم إن الأيام أنستك صديقك القديم رءوف؟ كم أتمنى أن تعود أيام زمان، ووددت أن تأتي إليّ بأسرتك الكريمة حتى تتعرف على أسرتي، ونتذكر أيام زمان؛ وهذا هو العنوان.....".

قرأ العم رضا الرسالة، وأخذ يتذكر صديقه القديم رءوف، وتذكر أيضاً أن لديه بنتاً جميلةً اسمها ليلي، لعلها لم تتزوج بعد، فهي إن شاء الله من نصيب آدم.

وفي الصباح، حكى العم رضا لابنته صباح عن موضوع الرسالة، ثم اتفقوا على زيارة رءوف للتعرف على أسرته. وبالفعل اتصل العم رضا بصديقه رءوف، وتم الاتفاق على موعد الزيارة. وفي اليوم التالي، تقابلت الأسرتان، والعم رضا ورءوف يذكر كل منهما الآخر بأيام زمان، وابنته صباح تجلس مع ليلي تسألها عن حالها وتعليمها. وفي نهاية الزيارة، شكر العم رضا صديقه رءوف على الرسالة التي أرسلها له حتى يحدث هذا اللقاء.

ولكن رءوف قال له: أي رسالة تقصد؟

العم رضا موضحاً: الرسالة التي أرسلتها إلى تليفوني المحمول.

رءوف مندهشاً: أنا لم أرسل لك أي رسالة. حتى إنني لا أعرف رقمك حتى أرسل لك رسالة.

العم رضا وهو مبتسم باستغراب: لا مشكلة. المهم أننا رأينا بعضنا، وتذكرنا أيام زمان. وإن شاء الله سوف ننتظر زيارتك. وفي طريق العودة، قالت صباح لأبيها إن ليلي سوف تكون زوجة مناسبة لآدم. فسّر لذلك العم رضا، وقال: على بركة الله. لكنه كان طوال وقت العودة صامئاً يفكر في أمر الرسالة الغريبة، وصديقه الذي أنكر. وقد يكون صادقاً بشأن عدم إرسال الرسالة. كاد عقله يجن من كثرة التفكير حتى يئس من وجود حل لهذه الرسالة، وقرّر أنه سيلتزم الصمت تجاه هذه الرسالة.

ولكن كانت هناك مشكلة. لقد كان معهم في الزيارة ابنه وحيد الذي طالما أراد أبوه أن يزوجه. وقد رأى ليلي، وحدثته نفسه بأن يتزوجها، وأخبر والده بذلك، ولكنه رفض وأخبره أنها ستكون زوجة لابن أخيه آدم بعد رجوعه من إسبانيا. ولكن وحيد أصر على الزواج بليلى، وأقنع والده بأن آدم ليس معناه، ومن الممكن أن نختار له زوجة أخرى. أراد العم رضا أن

يصرّ على رأيه، ولكن هذا ابنه، وكثيراً ما أراد أن يتزوَّج، وعندما تأتي الفرصة يكون هو السبب في عدم زواجه! فقال في نفسه: النساء كثيرات. فلتكن ليلي زوجة ابني وحيد، أمّا آدم فنبحث له عن زوجة أخرى.

وكان هذا الحديث بعد رجوعهم إلى البيت من زيارتهم لصديقه رعوف، وفرح وحيد كثيراً لموافقته والده لرأيه بالزواج من ليلي. وقبل أن يأتي آدم من إسبانيا، سوف يخبر صديقه رعوف حتى تتم الخطوبة سريعاً، ثم ذهب كل واحد منهما إلى حجرته.

وفي الصباح، استيقظ العم رضا باكراً كعادته، ثم جهز الإفطار له ولابنه وحيد، ثم ذهب لإيقاظه، فوجده متدثراً بلحافه. وأخذ ينادي عليه: وحيد، استيقظ. ومد يده ليزيح عنه اللحاف قائلاً له: هيا استيقظ واستعد لخطوبتك. ولم ينته من كلامه حتى صرخ: وحيد، ما بك؟ فلقد كان وحيد فاعراً فاه، وعيناه جاحظتين، وحقنة العين ثابتة، وجسمه لا يتحرك متصلب كالخشب لا يستطيع الحركة، وهو ثابت لا يغير من حالته هذه، فهول سريعاً العم رضا إلى التليفون، واتصل بجاره الدكتور حازم، فلم يرد عليه، فذهب إلى شقته، وأخذ يطرق الباب بقوة حتى أيقظه من نومه، فلما رآه قال له العم رضا: ابني يادكتور حازم. تعال بسرعة أنقذ ابني. وعلى الفور، ذهب معه الدكتور حازم، وبعد فحصه لوحيد، قال له: أنا آسف يا عم رضا. من المحتمل أن وحيد رأى شيئاً أفزعه، فحدث له ما حدث.

العم رضا: لقد كان معي ليلاً في أسعد أوقاته، وكنا سنذهب اليوم لنخاطب له فماذا أفزعه؟

الدكتور حازم: ممكن تستشير دكتور أمراض نفسية وعصبية، فقد يساعدك.

وبالفعل جاء دكتور للأمراض النفسية والعصبية، وقال مثلما قال الدكتور حازم، إن شيئاً أفزعه فأصابته نوبة من الفزع. فاستسلم العم رضا لحالة ابنه، وجلس بجواره يبكي وهو لا يدري ماذا يصنع له؛ فالحالة قد تطول. لقد ذهبت فرحة وحيد مع هلع وفزعه.

وفي اليوم السابع من مكالمة آدم لعمه رضا، رن جرس شقة العم رضا، وفتح الباب ليجد آدم ابن أخيه راضي، فيستقبله استقبالاً حاراً، ويحتضنه؛ فهو لم يره منذ عشرة أعوام. ويجلس آدم مع عمه رضا، ويخبره بأحواله وأعماله، وفي منتصف الحديث يذكر آدم عمه بأمر اختيار العروس، فيخبره العم رضا أنه تم اختيار زوجة، وهي ابنة صديقه القديم رعوف. وأخبره بما حدث لابنه وحيد "إنه أصيب بحالة نفسية جعلته كما ترى". فحزن آدم على ابن عمه، واقترح على عمه أن يأخذه معه إلى إسبانيا؛ فهناك العلاج متقدم أكثر من بلادنا، فأعجب العم رضا بالفكرة. ولكن المهم الآن هو زواج آدم من ليلي.

وبعد زيارة العم رضا وآدم لصديقه رعوف، يرى آدم ليلي فتعجبه. وفي هذه الجلسة، تم الاتفاق على كل شيء.

أراد آدم أن يكون الفرح بسيطاً من أجل ابن عمه وحيد، ولكن العم رضا رفض وأصرَّ أن يكون الفرح على مستوى عالٍ. واستأجر آدم فيلاً ليقام فيها الفرح، ويقيم فيها خلال فترة مكوثه في مصر. وجاء يوم الفرح، والمدعوون كثيرون، وكان الفرح كأنه ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة.

وانتهى الفرح، وذهب كلُّ إنسانٍ إلى حاله وهمومه.

وبعد أسبوع من الفرح، يدق جرس باب شقة العم رضا، ويذهب ليفتح الباب، ليرى آدم أمامه واقفاً كالوقفه العسكرية.

آدم: عم رضا، كيف حالك؟

العم رضا: آدم، ماذا جاء بك الآن؟ ولماذا تركت زوجتك؟ أهنأك شيء؟ تكلم.

آدم (باستغراب): ماذا تقول يا عم رضا؟ وأي زوجة تقصد؟ أنا لم أتزوج.

وتبلغ الدهشة مع العم رضا مبلغها، ويصيح في وجه آدم قائلاً: ماذا تقول؟

فيرد آدم بهدوء الأوروبيين: نعم يا عم رضا. لقد جئتُ من إسبانيا الآن، ولم أتصل بك حتى أفاجئك. فيسقط العم رضا

أرضاً مغشياً عليه مما يسمع ويرى. وبعد أن فحصه الدكتور حازم، قال: لقد كاد أن يدخل في غيبوبة لولا قوة إرادته.

وتحكي صباح لابن عمها آدم كل شيء حدث منذ أسبوع؛ فالكل أصيب بحالة من الاستغراب والخوف مما حدث.

فيقول آدم: هيا بنا نذهب إلى الفيلا التي أقيم فيها الفرح، ونرَ آدم المزيف، وسوف أبلغ الشرطة.

ولكن صباح جعلته ينتظر حتى يفهموا حقيقة الأمر، وأصر العم رضا أن يذهب معهم رغم حالته. وذهبوا جميعاً إلى فيلاً

آدم المزيف، وبعد أن وصلوا وترجلوا من سيارتهم، فوجئوا بأنه ليس هناك فيلاً! إنه منزل مهجور، ولا أحد يقيم فيه. لقد

كانوا جميعاً في أشد حالات الذهول مما رأوا، فاستوقفوا أحد المارة من الناس، وكان ينظر إليهم باستغراب حتى سأله آدم:

حضرتك من أهل المنطقة.

قال: نعم. أنا حسين، وأقيم هنا من زمن. أي خدمة ممكن أقدمها لكم؟

آدم: نعم أين الفيلا التي يسكن فيها الأستاذ آدم؟

حسين: أي فيلاً تقصد؟ هنا لا يوجد أي فيلاً. هذه منطقة عشوائية كما ترى.

صباح: يا أستاذ حسين، هذه الفيلا كنا فيها من أسبوع لزواج الأستاذ آدم، وكان فيها مدعوون كثيرون، وتقريباً كانت مكان

هذا البيت المهجور.

حسين موضحًا عن البيت المهجور: هذا البيت المهجور موجود منذ عشرين سنة، وعندما كنا صغارًا، كنا نلعب بداخله. وكان أهلنا يصرخون في وجوهنا عندما يعرفون أننا لعبنا بداخله بحجة أن به أشباحًا وعفاريت، حتى جاء يوم صدقنا فيه الكلام الذي كانوا يقولونه عن الأشباح والعفاريت التي في هذا البيت.

العم رضا: ماذا حدث يا أستاذ حسين؟ تفضل أكمل.

حسين مستطردًا: كنا نلعب كالمعتاد لعبة عسكر وحرامي، ودخل أحدنا البيت ليختفي فيه حتى طال اختفاؤه، فخشينا عليه، فذهبنا نبحث عنه داخل البيت المهجور حتى وجدناه ساقطًا على الأرض متخشبًا، فاغزًا فاه، وحدقتا عينيه ثابتتان لا تتحركان كأنه رأى شيئًا أفزعته، فهُرَعْنَا إلى أهله، وقصصنا عليهم ما حدث له. وبعد أن فحصه الطبيب، قال: لقد أصيب بحالة من الفرع نتيجةً لرؤيته شيئًا مخيفًا، وبعد هذه الحادثة، لم يقترب أحدٌ من هذا البيت.

العم رضا: مثلما حدث تمامًا مع ابني وحيد!

آدم: لكن ما قصة هذا البيت المهجور؟

حسين: لقد سمعنا ونحن صغار قصةً غريبةً عن هذا البيت.

صباح: وماذا سمعتم؟

حسين: كان يقيم في هذا البيت الأستاذ آدم.

صباح باستغراب: تقول الأستاذ آدم؟!

حسين: نعم، الأستاذ آدم. وكان يقيم في البيت وحده، وكانوا يقولوا عنه إنه يسخر الجن. وكان منعزلًا عن أهل المنطقة، وكانوا يخافون منه، حتى جاء يومٌ اشتعلت النار بالبيت، ومات الأستاذ آدم محترقًا داخل البيت، وأصبح البيت هكذا كما ترون من بعد الحريق. ولكن الغريب في هذا الأمر أن الأستاذ آدم لم يعثروا على جثته، فمن الناس من قال إن الجن والعفاريت أخذت جثته، ومنهم من قال إنه لم يكن في البيت. وكلام الناس كثير.

العم رضا: الآن فهمت كل شيء. ولكن لماذا أخذ ليلي بنت رعوف؟ ولماذا أذى ابني وحيد؟

حسين: ماذا تقصد بهذا الكلام؟

قص العم رضا على حسين تفاصيل ما حدث معه. وعلى أثر هذا الكلام، قال حسين: أنتم وقعتم فريسة آدم، وكل ذلك من أجل ليلي بنت صديقك رعوف. وما حدث لابنك وحيد كان بسبب أنه أراد أن يتزوج ليلي. وأما ليلي، فكان الله بعونها؛ فهي ذهبت بلا عودة إلى عالم لا يعلمه إلا الله.

العم رضا: إذا كان يريد ليلي، فلماذا لم يختطفها بدل التمثيلية التي فعلها معنا.

حسين: الله أعلم يا عم رضا. هناك أمور لا نعلمها عن أنفسنا، فما بالك بالأنفس الأخرى. ولكلّ منا عالمه الخاص وحياته الخاصة، ومن الأفضل ألا نسأل.

آدم: ألا توجد طريقة لعودة ليلي وشفاء وحيد؟

تغيرت نبذة حسين في الكلام: يبدو أنكم لا تفهمون ما قلته لكم.

العم رضا: لا بل فهمنا، ونحن نشكرك على ما أمددتنا به من معلومات.

حسين: نحن في خدمتكم.

وانصرف، وهم في حالةٍ من الذهول تكاد لا تنتهي من هول ما سمعوه. وتذكر آدم شيئاً آخر أراد أن يسأل عنه حسين، وهو سبب اختيار شخصيته في هذه الأحداث، فذهب سريعاً خلفه، ولكنه اختفى! فذهب إلى أحد محلات البقالة التي في المنطقة ليسأل عن عنوان سكن حسين، فسأل صاحب البقالة وأعطاه مواصفات حسين، ولكن صاحب البقالة قال: أنا عمري خمسة وخمسون عاماً، وهذه البقالة ورثتها عن أجدادي، ولم أسمع عن حسين هذا، ولا رأيت أحداً بهذه المواصفات التي تقولها. دُهل آدم أكثر مما دُهل، ورجع إلى العم رضا وصباح ليخبرهم بما قاله البقال.

العم رضا: يكفي ذلك. هيا نترك هذه المنطقة.

وركبوا جميعهم السيارة وانصرفوا، وهم لا يتكلمون من حالة الذهول التي أصابتهم.

وهم في طريقهم إلى العودة، أتت رسالة إلى العم رضا على تليفونه المحمول، وجاء فيها: "شكراً على الزوجة، وقريباً سنأتي لزيارتك".

فأسند العم رضا ظهره إلى كرسي السيارة وهو يريد في نفسه: "لا تزورنا ولا نزورك".

ثم قرأ آية الكرسي و أخذ يكررها حتى وصل.

اعتراف

اسمي حسام، وأنا أعمل طبيباً بالوحدة الصحية كممارس عام في إحدى القرى بمحافظة بني سويف؛ فبعد تخرُّجي في كلية الطب، جاء أمر تكليفي كممارس عام بالوحدات الصحية، فاخترت أن أعمل بعيداً عن محافظتي، وذلك للاستفادة المالية والإدارية.

في البداية، كان في مخيلتي أن الوحدة الصحية التي سوف أعمل بها موجودة في مكانٍ تشعر فيه بالحياة وسط صخب الناس، ولكنني فوجئت بغير ذلك؛ فقد كانت بمنأى عن صخب الحياة، لأنها توجد وَسَطَ أراضٍ زراعيةٍ بعيداً عن المناطق السكنية.

بالنهار ترى وجوه بعض الناس الذين جاءوا للوحدة من أجل إجراء الفحص عليهم، وبالليل لا ترى أيَّ وجوه غير وجه النوبتجي - إن وُجد - ولا تسمع أيَّ أصوات سوى أصوات الحشرات التي لا أعرف أسماءها، ومن كثرتها تجعلك تسمع سيمفونية موسيقيةٍ حشريةٍ. ولمَّا سألت عن سبب بُعد الوحدة الصحية عن المناطق السكنية، قالوا لي إن القرية لم يكن بها أي وحدة صحية، فكان سكان القرية يذهبون إلى الوحدة الصحية التي في القرية المجاورة لهم، حتى تبرع أحد أغنياء القرية بقطعة أرض زراعية في هذه المنطقة لكي تُبنى عليها وحدةٌ صحيةٌ. والشيء الحسن في هذه الوحدة أنه كانت لي شقة بالدور العلوي كنت أقيم فيها، وعلمتُ فيما بعد أن الطبيب الذي كان يعمل في هذه الوحدة سافر إلى السعودية للعمل هناك.

وكي لا أطيل عليك يا أستاذة بثينة، عندما كان يأتي الليل، كنت أشعر بالخوف، وخاصةً لمَّا كنت أنظر من الشرفة، وأرى هذا الفراغ المحيط بي. وكان العم رمضان - وهو العامل النوبتجي - يقضي جميع احتياجاتي. وفي إحدى الليالي، طلب مني أن يذهب إلى بيته لأن هناك من سيأتي ليخطب ابنته، فأذنت له، وقلت له أن يقضي هذه الليلة مع أهله، على أن يأتي إليَّ باكراً.

وكانت هذه أول ليلة أقضيها وحدي، وكنت أحياناً أسهر لساعات متأخرة من الليل؛ وفي هذه الليلة بالذات، عندما شعرت أنني لوحدي، طالت ساعات سهري حتى فوجئت بعد منتصف الليل بسماع طرقات على باب الوحدة بشكلٍ متواصلٍ، وصوت ينادي: يا دكتور حسام يا دكتور حسام. فذهبت مهرولاً وأنا أقول في نفسي: لعله مريض. وعندما فتحت باب الوحدة، وجدتُها امرأة، ولم أتبين ملامحها جيداً لقلة الإضاءة بالخارج.

وقالت وأنفاسها تخرج منها بصعوبة كأنها في ساعتها الأخيرة: الحقني بسرعة يا دكتور حسام؛ فأنا تعبانة جداً.

فأدخلتها بسرعة إلى حجرة الاستقبال، وعندما نظرتُ إليها في نور الحجرة، وجدتُها كالبدر في تمامه. لا أعرف كيف أصفها لك يا أستاذة بثينة، ولساني يعجز عن وصفها كما ينبغي؛ فهي جميلة كل الجمال، تقع محبتها في قلب من

يراهالأول وهلة، وهذا ماحدث معي، وكدت أنسى أن أفحصها، حتى قطعت عليّ تفكيرى وانشغال بالي بها قائلةً: أنا تعبانة يا دكتور، ولا أستطيع التنفس.

وسألتها: من أي شيء تشتكين؟

قالت: معدتي. عندي ألم شديد في معدتي يا دكتور حسام.

وأخذت أقوم بفحصها. وفي أثناء الفحص، سألتها عن اسمها، فقالت: اسمي بدور.

وبعد انتهائي من الفحص، قلت لها: حاجة بسيطة إن شاء الله. مجرد التهابات في المعدة سببت لك هذا الألم الشديد. سوف أكتب لك العلاج، وبمجرد أن تأخذه سوف تكونين في أحسن حال إن شاء الله.

ثم قالت بعد أن اطمأنت على نفسها: شكرًا لك يا دكتور حسام، وأنا آسفة لإزعاجك في هذا الوقت المتأخر.

قلت: لا يوجد إزعاج ولا حاجة؛ فأنا تحت أمرك. ولكن أريد أن أراك بعد أسبوع حتى أطمئن عليك.

ثم انصرفت. وفي الصباح، لم أخبر العم رمضان بما حدث لأنه متوقع في أي وحدة صحية أن تأتي لك الحالات المرضية في أي وقت.

وفي ليلة، استيقظت من نومي على طرقات باب الشقة، فاعتقدت أنه العم رمضان، فسألته أن ينتظر. ونظرت إلى الساعة، فوجدتها الثانية صباحًا، فقلت في نفسي: لعلها حالة مرضية مستعجلة. وعندما فتحت الباب، وجدت أمامي، فتسمّرت في مكاني، وسكنت كل حركاتي، ولم أتكلم كلمة واحدة، حتى قالت: أنا آسفة يا دكتور حسام لإزعاجك.

فقلت لها باستغراب: ما الذي جاء بك؟ هل أنت بخير؟

-: نعم.

-: فلماذا جئتِ إذا؟

-: ألم تقل لي تعالي بعد أسبوع لأطمئن عليك.

-: نعم، أتذكر ذلك.

-: ها أنا قد جئتُ كما قلت.

-: ولكن في هذا الوقت المتأخر من الليل! في المرة الأولى قلت في نفسي "لأنك كنت مريضة"، أما الآن فأنت تقولين أنك بخير. فلماذا لم تأتي بالنهار؟ وأين العم رمضان؟

-: العم رمضان نائم في حجرته فلم أرغب في إيقاظه، فصعدت إليك مباشرةً.

-: ومن الذي فتح لك باب الوحدة؟

-: لقد كان مفتوحًا.

-: هيا بنا إلى حجرة الاستقبال.

وبعد فحصها، قلت لها: أنت الآن في أحسن حال، ولا يوجد هناك شيء تخافين منه، فمعدتك هذه المرة أفضل من المرة السابقة.

-: أشكرك يا دكتور، والبركة فيك.

قلت لها مستغربًا: لكن لماذا تأتين في هذا الوقت المتأخر من الليل، ولماذا لا يأتي معكِ أحد؟

فأطلقت ضحكةً ارتعش لها قلبي، وقالت: لأنني أحب أن أراك.

-: فلماذا لا تأتين بالنهار؟

قالت بدلال المرأة: الوحدة بالنهار يكون فيها مرضي، وأنت مشغول بفحصهم، ولن أستطيع أن أتكلم معكِ على راحتني.

-: فلماذا لا تأتين أول الليل؟

-: يا دكتور، أنت تسأل كثيرًا. أنت خائف مني؟

-: لا، ولكن أحب أن أطمئن عليك.

-: اطمئن يا دكتور. والآن سوف أذهب، مع السلامة.

وتكررت هذه الزيارات الليلية، وفي كل مرة كان يزداد عندي الشعور بالقرب إليها، وأنني أحبها، وأنتظر قدوم الليل من أجل أن أراها.

وفي إحدى هذه الزيارات الليلية، قلت لها أنني أحبها وأريد أن أتزوجها، فضحكت ضحكتها التي يرتعش لها قلبها وقالت: وأنا أحبك؛ ولكن كيف نتزوج.

-: مثل الناس، بل مثل أي اثنين يحب بعضهم.

قالت بذات الدلال الأنثوي: لكن أنا مهري غالٍ.

-: وأنا مستعد لأي شيء.

-: حتى ولو كان حياتك.

-: حياتي كلها ملكك وتحت يديك.

-: خلاص غداً في نفس الميعاد سوف آخذ مهري منك.

قلت (وأنا لا أدري ماذا تقصد): وأنا سوف أكون مستعداً.

-: والآن سوف أنصرف حتى يأتي ليل الغد.

-: سوف أنتظرك.

وفي الصباح، كنت مشغول البال بأمر الزواج، وقلت: لا بد أن أذهب إلى أهلها حتى يكون كل شيء في طور الأصول.

وبعد انتهائي من العمل، قلت للعم رمضان إنني أرغب في الزواج من عندكم من القرية.

قال العم رمضان: هذا خبر سعيد يا دكتور، ولكن من هي صاحبة الحظ السعيد؟ ومن أي عائلة في القرية؟

-: لا أعرف غير اسمها.

-: وما اسمها يا دكتور؟ فنحن في القرية كلنا يعرف بعضنا البعض.

-: بدور... اسمها بدور.

-: بدور بنت الحاج متولي؟ أحسنت يا دكتور. عائلة كريمة، ونسبها يشرف.

-: هل تعرف شكلها؟

-: نعم يا دكتور، أعرف شكلها.

-: ممكن يا عم رمضان تصفها لي لكي أعرف إن كانت هي التي أقصدها أم لا.

وبعد وصف عم رمضان لشكل بدور، قلت: ولكن ليست هذه بدور التي أقصدها.

العم رمضان: إذاً من تقصد يا دكتور؟ ممكن تصفها لي يا دكتور لكي أعرفها لك.

فوصفتها له حتى تغيرت ملامحه، وشعرت بأن جسده يرتعش كأنه رأى شيئاً، أو أنني سأقتله!

-: ما بك يا عم رمضان؟

-: أنت متأكد من هذه الأوصاف يا دكتور؟

-: نعم متأكد كما أراك. أليست هذه أوصاف بدور أم امرأة أخرى؟

عم رمضان: بل هي أوصاف بدور.

- إذا ما هذا الذي يحدث لك؟

- لأنها ميتة.

فوقفت الكلمة في صدري كرصاصةٍ ثقت جرحًا لا يندمل، وشعرت بأن العالم كله يدور أمامي، فقلت وأنا لا أكاد أصدق كلامه: كيف ماتت وهي كانت معي بالأمس؟

-: بدور يا دكتور التي تقصدها ميتة من خمس سنوات في حريق اشتعل في منزلها، نجت منه عائلتها كلها إلا هي.

قلت وأنا لا أكاد أصدق ما أسمع: ماذا تقول؟ ومن التي كانت تأتي لزيارتي ليلاً.

-: كانت تأتي لزيارتك ليلاً؟!

-: نعم.

وقصصت عليه كل ما حدث، فقال: إنه شبجها.

-: شبجها! ماذا تقصد؟

-: نحن في القرية نسميها عفريته.

-: إذا أنا كنت سأتزوج من عفريته! ومن أجل ذلك قالت أن مهرها حياتي!

-: ربما تقصد بأنها سوف تقتلك لتكون معها.

-: كيف أكون معها؟ وأين أكون معها؟

-: أنا لا أعرف أي شيء غير الذي قلته.

وقفت كلمات عم رمضان في أذني كسهمٍ مسمومٍ سيقضي عليّ، ولم أنتظر قدوم الليل خوفاً على حياتي، فذهبت إلى المحطة لأركب القطار المتجه إلى محافظتي، ولم يطمئن قلبي حتى تحرك القطار بعيداً عن هذه القرية، وأنا أقول من حينٍ لآخر: "أنا كنت سأتزوج عفريته".

الأستاذة بثينة: دكتور حسام، هل رأيته مرة أخرى؟

دكتور حسام: نعم، في أحلامي، وكانت تطاردني وتريد أن أفي بوعدي معها بالزواج.

الأستاذة بشينة: إلى الآن يا دكتور حسام؟

دكتور حسام:.....

الأستاذة بثينة: دكتور حسام، هل أنت معي على الخط؟ دكتور حسام، هل أنت سامعني؟ من الواضح أن الخطّ انقطع مع الدكتور حسام.

علي كلِّ حالٍ أعزائي المستمعين، بهذا الاعترافِ، نكون قد وصلنا إلى نهاية حلقتنا لهذه الليلة

من برنامج (اعترافات ليلية)...

بعد ثلاثة أيام

ممدوح رفعت مراد، ذلك اسمي الذي أعيش به بين أهلي وجيراني بقرية(حاجر الجبل) بمحافظة سوهاج. وهذه رسالة مني، أسطر كلماتها وأنا في أفضل قواي العقلية لأنها بمثابة اعتراف بجريمة قتلٍ اقترفتها بيدي العاريتين، لإنسانةٍ كانت يومًا ستصبح زوجتي. والأمر الذي حدثت معي بعد قتلها هي التي ستجعلكم تشكّون في قواي العقلية. ولكن لا تصدّقوا أنفسكم، وصدّقوني أنا الذي أعيش هذه الأحداث إلى الآن.

وهذه الرسالة أكتبها في بداية اليوم الثالث من هذه الأحداث التي بدأت بعد خطوبتي لابنة عمي الوحيدة لوالدها، وهي تُعتبر كلّ عائلته، خاصةً بعد وفاة والدتها.

بعد الخطوبة، أخذت أبحث عن عمل حتى أستطيع الاستعداد للزواج، واشتغلت في وظائف كثيرة، ولكن كلها كانت ذات عائِدٍ ماديٍّ صغيرٍ لا يؤهِّل الإنسان للزواج.

ولذلك لجأت إلى الحل الآخر وهو السفر إلى الخارج، ولقد وُقِّعت في إيجاد وظيفة عامل أمن في دولة الكويت في أحد معارض السيارات، وكنت دائمًا أصبِر نفسي من أجل تحقيق أحلامي كأني شاب يرغب في الاستقرار، وكانت ابنة عمي تراسلني من هاتفها المحمول، وتبث في نفسي الأمل والصبر على تحقيق رغبتنا في الزواج.

وفي يومٍ غابت عن نهاره الشمس، وفي ليله غاب القمر؛ فالسما كانت غيومها كثيفة سوداء اللون فنزلت الأمطار بغزارة. في تلك الليلة، جاءت رسالةٌ إلى هاتفي المحمول نصّها: "ابنة عمك بتخونك بحبّها لشخص آخر". وفي نهاية الرسالة: "مخلص أمين".

شعرت بعدها بعدم التركيز، ولا أدري ماذا أفعل. ثم وجدت نفسي أقوم بالاتصال بها، فيأتيني صوتها، فشعرت بالأمان، وأردتُ أن أخبرها بموضوع الرسالة، فترددتُ قلت في نفسي: لعبة سخيّة من شخصٍ سخيٍّ يريد أن يتسلّى فيرسل رسائل لأرقام عشوائية. ولكن الغريب أن رقم الرسالة من مصر! لم أفكر كثيرًا، فحذفت الرسالة، ونسيت أمرها.

ثم بعد يومين جاءت رسالة أخرى من نفس الرقم الأول، ممّا جعلني أشك أن هذه الرسائل مقصودة، وليست كما كنت أعتقد بشأنها علي أنها لعبةٌ سخيّةٌ من شخصٍ سخيٍّ. وكانت أشدّ وأقوى عليّ من الرسالة الأولى، حيث يقول فيها: "أعلم أنك لا تصدقني، ولكن ما رأيك لو قلتُ لك إنها تقابل حبيبها كلّ يوم خميس في نفس المكان الذي كنتَ تقابلها فيه عند الوحدة الصحية المهجورة؟". وفي نهاية الرسالة: "مخلص أمين".

بعد قراءتي للرسالة، شعرت كأنني في أقوى إعصار، بلغت سرعته ٣١٥ كيلومترًا في الساعة، وهو على وشك أن يقذفني في بئر قاعها بعيدة كبعد السماء عن الأرض.

توترت أعصابي، وتجمدت أفكاري، وكرهت الطعام والشراب. لا أعرف للنوم طريقًا، فأصبح ليلي كنهاري، ولا أجد حلًا لما أنا فيه. وجاءتني فكرة أهملتها في الرسالة الأولى، وهي أن أتصل بالرقم الذي جاءت منه الرسالة. وللأسف وجدت الرقم غير موجود بالخدمة!

أصبحت قريبًا من الجنون؛ فلابدًا من إيجاد طريقة لإثبات عدم صحة هذه الرسائل. لا أستطيع أن أقول (أو إثبات صحتها)؛ فابنة عمي تحبني كما أحبها؛ فأنا سافرت إلى الخارج، ورضيت بمشقة العمل وذل الآخرين من أجلها، فكيف تكافئني بخيانتها لي. لا بد وأن هناك شيئًا خطأ. ومن الذي يرسل إليّ هذه الرسائل؟ أريد مصلحتي أم هلاكي؟ وكيف عرف رقم هاتفي في الخارج؟ أسئلة كثيرة لا أجد لها حلولًا.

دوامه من الأفكار أخذتني إلى عالم آخر لا أسمع فيه صوت أحد سوى صوتي، ولا أرى فيه أحدًا غيري، فظهرت عليّ علامات الإجهاد والتعب، وتورمت عينا من قلة النوم، بل من عدمه، فأصبحت ضعيفًا هزيلًا.

رئيسي في العمل أعطاني ثلاثة أيام إجازة لأستريح فيها، ولكن كيف؟ فلقد جاءت الرسالة الثالثة، وكانت فيها الطامة الكبرى، لأنها لم تحتو على كلمات كسابقتها، بل كانت تحتوي على مجموعة من الصور، تضم ابنة عمي مع رجل آخر عند الوحدة الصحية، وفي أسفل الرسالة كانت هناك كلمات قليلة يقول فيها: "صدقني الآن؟ أرني ماذا ستفعل؟". وكأن في داخليبركانًا من الدماء الحارة انفجر، ومن شدة انفجاره كادت حممه تصل إلى ابنة عمي لئحرقها هي وعشيقها الملعون؟

أول شيء فكرت فيه هو العودة إلى البلد، فأخذت إجازة من عملي لمدة شهر، فسمح لي صاحب العمل بالإجازة لما يراه فيّ من تعب وإجهاد. وبعد هبوط الطائرة في أرض القاهرة، حجزت في أحد فنادقها، ثم جلست أفكر ماذا سأفعل؟ وكان رأسي خاويًا من الأفكار.

ولكن أول شيء فعلته هو أن أمسكت هاتفي المحمول - الذي جعلته بخاصية التجوال حتى لا يظن أحد أنني في مصر - وأرسلت إليها رسالة أخبرتها فيها أنني سوف أرجع إلى البلد دون علم أحد من أهلي، وألا تخبر أحدًا لتكون هي أول من تراني، وطلبت منها أن تقابلني في نفس المكان الذي كنا نتقابل فيه.

وفي اليوم التالي، كنت في محطة القطار أنتظر قطار الساعة الحادية عشرة صباحًا المتجه إلى سوهاج حتى أتمكن من الوصول في نفس الموعد الذي اتفقنا عليه. وكلما اقترب القطار من الوصول، كان شيطاني يرسم لي في مخيلتي مقابلتها مع ذلك الشخص المجنون، نظراتها إليّ، وضحكاتهما، فأشتعل غضبًا، وأصبح قطعة متوهجة من النار.

وبعد وصول القطار إلى محطة سوهاج، تحركت بسرعة إلى مكان المقابلة، فأخذت تاكسي أنزلني بالقرب من الوحدة الصحية المهجورة، والليل يزحف ببطء كئيبي، والشتاء يصوب علينا مدافع البرد القارس، فكنت أندثر بذلك الباطو الذي أرثديه جيدًا، كأني أخفي نفسي فيه. وكنت أهرول في سيرتي، حتى وجدت نفسي في المكان المحدد ووجدتها أمامي، فلمّا

رأيتني، جاءت إليّ مسرعةً، وأخذتْ تلقي على مسامعي أشدَّ كلمات الترحيب، ولكنني كنتُ أصمُّ عن صوتها، لا أسمع في أذنيّ سوى صوتٍ يهمس لي بفعلها القبيح الذي يجلب العار على العائلة، وكنت أعمى عن رؤيتها، لا أرى سوى الصور التي أرسلت إليّ، لها ولعشيقها.

وبسرعة وبدون أن أنبس بكلمة واحدة، حوَّطتْ رقبتها بيديّ كما يحوِّط حبلُ المشنقة رقبةَ المحكوم عليه بالإعدام، وأخذتْ أخنقها، وهي تنظر إليّ متسائلةً، وتتلوّى وتضرب الأرض بأرجلها بحثاً عن الخلاص من يدي. وكلما تذكرت فعلتها الشنيعة، شددتُ في خناقها، حتى هدأت حركاتها، وسكن جسدها لفراق رُوحها، وتركتها من بين يديّ لتسقط على الأرض جثةً هامدةً.

أصبحت أنفاسي لاهثةً، أتصبَّبُ عرقاً في شتاء تلك الليلة. لم أشعر بعدها بنفسِي. نظرت في عينيها المفتوحتين، فتسرَّب إليّ الخوف، واضطربت حركاتي، وكدت أفقد وعيي بجوارها، فأجهشت بالبكاء. أردت أن أصرخ، أن أجري، أن أهرب بنفسِي، أن أعود بالزمن إلى الوراء فأصلح كل شيء، ولكن هيهات هيهات، لن ينفع الندم. ومددت يدي المرتعشة لأغلق عيونها التي تصيني بالرعب فلم أستطع، فأخذت أجمع شتات نفسي، وأفكر ماذا سأفعل؟ لكنني لم أجد أي فكرة غير أن أتركها مكانها. ثم فررت هارباً بجريمتي.

ركبت أول قطار متجه إلى القاهرة، وحاولت أن أكون على سجيّتي حتى لا يشك فيّ أحدٌ. وفجأة ومرة أخرى شعرت كأنني في أقوى إعصار بلغت سرعته ٣١٥ كم في الساعة، وهو على وشك أن يقذفني في بئر قاعها بعيدة كبعد السماء عن الأرض، وذلك عندما تذكرتُ تليفونها المحمول ورسالتي لها؛ فهي الدليل على أنني أنا القاتل. استسلمت لذلك الإعصار ليفعل بي ما يشاء، وبعد ساعاتٍ معدودةٍ، كنتُ في القاهرة.

وفي اليوم التالي، اتصل بي والدي، وطلب مني المجيء إلى البلد والقلق يغزوني، وكاد يصل إلى قلبي ليقضي عليّ، فطمأنني بأن كل شيء بخير. وبعد إلحاح وإصرارٍ مني، أخبرني بموت ابنة عمي، ولم يتكلم عن أي رسالة في تليفونها المحمول، فاطمأن قلبي.

وبعد أسبوع من المكالمات، كنت بين أهلي حزيناً لموت ابنة عمي، نادماً على قتلها. وقبل أن أذهب لأعزيّ عمي، طلبتُ من والدي أن يخبرني كيف ماتت.

فصدمني والدي وملاً جوانبي رعباً لما سمعتُ كلامه عنها وهو يقول: لقد تناولت العشاء مع والدها، ثم جلستُ معه أمام التلفاز فترةً من الوقت، ثم استأذنتُ لتنام. وفي الصباح، وجدوها ميتةً على فراشها نتيجةً لسكتةٍ قلبيةٍ.

إذاً أنا قتلْتُ من؟ هل ماتت فعلاً عندما خنقتها أم إنها تصنعت الموت؟ كانت هناك دوامة من الأسئلة تدور في ذهني بلا إجابات.

ثم ذهبتُ لتعزية عمي، وكنت أصبِّره ويصبِّرنِي، وأعزِّيهِ ويعزِّيَنِي، وكلما نظرت في عينيه شعرت بأنها أمامي.

وفي أول ليلة قضيتها في البلد بعد رجوعي من القاهرة، تغيرت أحوالي، وتبدلت إلى الأسوأ؛ فأنا لا أصدِّق ما أرى، ولكن ينبغي عليَّ تصديق ما أرى.

دخلت حجرتي لأنام، وعقلي مشغول بالكلام الذي سمعته من والدي؛ فأنا لا أصدقه، فلا بد من وجود شيء غامض وراء تلك الأحداث. وأردت أن أستسلم لنوم عميق حتى يصفو ذهني وأرتب أفكاري لعلي أصل إلى شيء.

وكادت عيناَي تستسلمان إلى هذا النوم العميق حتى رأيتها أمامي ترتدي فستانَ زفافٍ، ورأسها يتدلى فوق صدرها، فتجمدتُ في مكاني، وأردتُ أن أفرَّ بنفسِي وأجري سريعاً، ولكن الخوف أثقلني فلم أستطع الفرار.

ظلت واقفة في مكانها ما يقرب من خمس دقائق. كل دقيقة تمر كأنها سنة، وفجأة رفعت رأسها لأعلى، فأغمضت عيني خوفاً منها، لكن دفعني الفضول لأفتحهما لأنظر إليها، فوجدت رأسها يدور حول نفسه، وينفصل عن جسدها، ويطير في الهواء متحرِّكاً إليَّ، فوقف أمامي ينظر في وجهي باستغراب، فلم أستطع أن أنظر إليه، وكنت ألتقط أنفاسي بصعوبة، ثم تحركتُ أدنى، وقالت بصوتٍ يشبه فحيح الثعبان: "بعد ثلاثة أيام". ثم رجع رأسها إلى مكانه، ثم اختفت. انتفضتُ من مكاني مسرعاً ناحية باب الحجرة، فتعرقلت قدمي، فسقطت على الأرض، فاصطدم رأسي بقوة بالأرض، ففقدت وعيي، ولم أشعر بنفسِي إلا على صوت المنبه، فقامت مسرعاً قبل أن يراني أحد.

وفي اليوم الثاني، ظهرت عليَّ علامات الخوف؛ فكلما رآني أحد، شعر أنني خائف من شيء ما، وكنت دائماً أفكر فيما قالت لي "بعد ثلاثة أيام"، ولا أجد لهذه العبارة حلاً. وفي ذلك اليوم ذهبت إلى عمي، وأثناء حديثي معه كنت أراها أمامي تجلس بجواره تنتظر إليَّ تلك النظرة التي رأيتها في عينيها أثناء قتلي لها، وكأنها تسألني: "لماذا قتلتي؟".

فانتفضتُ فرعاً من مكاني، هارباً بنفسِي منها.

انطلق نهار يومي الثاني كالصاروخ الذي يسابق الريح، ليأتي ليلاً يزحف ببطء كالسلفاة. كل من في البيت ذهب للنوم، ولم يبقَ غيري مستيقظاً، فذهبت إلى حجرتي والخوف يملأ جوانبي، وكأنها كانت في انتظاري! وجدتها نائمة على سريرِي وهي ترتدي فستان الزفاف، وأردت أن أخرج، فوجدت باب الحجرة مغلقاً، ثم وجدت رأسها يطير في الهواء، يدور حولي ليقف أمامي مرةً أخرى، ويهمس في أذني: "بعد يومين"، ثم قلت لها صارخاً بدون أن أشعر: ماذا تريد مني؟ أنت السبب... أنت التي جعلتني أقتلك؟ لماذا خونتيني و أحببتَ غيري؟ ثم طار رأسها ليلتصق بالجسد مرةً أخرى، ونهضت من فوق السرير لتقف أمامي وتقول بصوتٍ يشبه صوتها الطبيعي ولكنَّ به أنيئاً: أنا لم أحب غيرك.

- كيف لم تحبَّ غيري، وصورك وأنتِ مع عشيقك، موجودة معي على التلفون.

- لقد خدعك.

- من الذي خدعني؟

- ستعرف كل شيء في وقته؟ ولا تنس... بعد يومين.

- ماذا بعد يومين؟

- سيكون زفافنا بعد يومين؟

و تغير صوتها لتضحك ضحكة أثارت الرعب في نفسي، ثم اخفت بعدها.

* * *

صدّقوني إذا قلت لكم إنني جلستُ في مكاني أبكي كالطفل المذعور، ولا يدري ماذا يفعل! ينتظر أحدًا لينقذه .

أشرقت شمس اليوم الثالث، وأنا لم أنم، فتناولت قرص منوم حتى أستطيع النوم، وأنسكل شيء، ولكنها كانت ورائي في كل مكان حتى في أحلامي، فرأيت نفسي معها كأنني في فرح، وهي تُزفُّ إليّ، وتمسك ذراعي بقوة، وأنا أحاول الفرار منها فلم أستطع. وأنظر إلى المدعوين لأطلب من أيّ أحدٍ منهم أن ينفذني منها، فرأيتهم كلهم شكلاً واحدًا بهيئةٍ واحدةٍ كأنهم مستنسخون، ففزعت أكثر. وفجأةً تطايرت رعوسهم في الهواء، وهي تضحك تلك الضحكة المفزعة، ونظرتُ إليها فلم أجد رأسها، فلقد طار مع الرعوس، فانتفضت من نومي فرعًا، والدموع تسقط من عيني بلا إرادةٍ مني، وتلك الضحكات المفزعة تملأ أذنائي. ونهضت من مكاني، وجلست إلى مكتبي أسطر تلك الأحداث، وأنا الآن في اليوم الثالث أنتظرها؟

وفي عصر اليوم الثالث، جاءت رسالة على تليفوني المحمول نصها: "إذا كنت تريد معرفة حقيقة ما يحدث لك، تعال عند الوحدة الصحية المهجورة في الساعة الواحدة صباحًا".

وفي نهاية الرسالة: "مخلص أمين". ورقم الرسالة هو نفس الرقم الذي كان يرسلني في الرسائل السابقة. والآن سأستعد للذهاب. كنت أتمني أن أكتب لكم ما سوف يحدث، وحقيقة تلك الأحداث، ولكن هذا وعد مني بأني سأكملها لكم.

عند الساعه الواحدة صباحًا، كنت عند الوحدة الصحية، وكان الليل يخيم على المكان بثوبه الأسود، وهناك رأيت شخصًا يقف بعيدًا، وعندما تحركت نحوه، أمرني أن أظل في مكاني ولا أتحرك. وعندما نظرت إليه، لم أر له أيّ ملامح لأنه يقف بعيدًا عن مصدر الضوء.

فسألته: من أنت؟ ولماذا تقف بعيدًا عني؟

فقال بصوتٍ غليظٍ: أنا المخلص الأمين. ولأنني أخشى عليك مني، فدعنا نتكلم على قدر هذه المسافة.

- هل أنا أعرفك؟
- لا.
- فلماذا كنت تراسلني؟ وهل ابنة عمي كانت تحب أحدًا غيري؟
- ارتفع صوته ضاحكًا، وقال: ابنة عمك لم تعرف أحد غيرك لكي تحبه.
- فلماذا جعلتني أقتلها؟
- لأنني كنتُ أغار منك؟
- وتحركتُ من مكاني وأنا أقول له صارخًا: من أنت؟
- فوجدته يصرخ بصوتٍ أزعجني من شدته: مكانك لا تتحرك.
- أتريد أن تعرف من أنا؟ أنا من سكان الأرض. عندما شبَّ الحريق في الوحدة الصحية وأصبحت مهجورة، جعلتها مسكني، وكنت أراك أنت وابنة عمك كلما قابلتها، فكنت أغار منك ، فأرسلت لك تلك الرسائل حتى تشك فيها ثم يحدث ما خططت له.
- والصور؟
- كل هذه الأشياء سهلة بالنسبة لنا؛ فنحن - سكان الأرض - نستطيع أن نتشكل في أي صورة.
- إذا أنت الذي كنت مع والدها وأنت على هيئتها؟ فلماذا فعلت ذلك؟
- هي التي طلبت مني ذلك لتحافظ على سيرة والدها بين أهل القرية؟
- والجثة ماذا فعلت بها؟
- كانت معي طوال الوقت. بعد كتابة الطبيب لتقريره على أن سبب الوفاة سكتة قلبية، وضعتها على فراشها، وبذلك تكون مهمتي معها قد انتهت.
- وتليفونها المحمول؟
- لقد حذفت رسالتك، بل وكل شيء يخصك.
- والآن ماذا تريد مني؟
- أنا لا أريد. بل هي التي تريد؟

- من؟

- ابنة عمك تريدك معها في عالمنا الخاص.

ولم يكذ ينته من كلامه حتى ظهرت ابنة عمي أمامي بفستان زفافها، وكما فعلت معها فعلت معي، وبدون أن تتبس بكلمة واحدة، أحاطت بيديها عنقي، ثم ضغطت بقوة أشد من قوة مائة رجل، على أثرها انتقلت إلى عالمها الخاص، وأنا الآن معها أستعد للزفاف.

والآن أكملت لكم رسالتي - كما وعدتكم - وأنا في عالمي الخاص، فهي رسالة نادرة. جزء منها كتبته وأنا بين البشر، والجزء الآخر كتبته وأنا بين سكان الأرض. كنت أتمنى أن تحضروا زفافنا، فلو كانت عندكم الرغبة، فسوف نأتي إليكم الآن...

فهل أنتم مستعدون...

وأخيرًا... المخلص الأمين.

إنه يراكم هو وقيبله من حيث لا ترونهم

في البداية عندما علمتُ أنني سأقابله، ظننتُ أنني سأقابل شخصاً أصلاً طويلاً القامة، له نصيبٌ من السُّمنة، عريض المنكبين، يسبق كلامه تفكيره. فلما قابلته خاب ظني والحمد لله، فكان رجلاً متوسط القامة، لا يظهر عليه أثر البدانة، يغلب عليه الصمت، لا يعرف الصلح طريقاً إلى رأسه، له لحية كثيفة أكسبت هيئته وقاراً. غزا المشيب شعر رأسه ولحيته، وحتى حواجبه لم تسلم من غزو المشيب. إذا رأيته تستحي منه، وعندما تسمع كلامه تجد نفسك تتجذب إلى كلّ كلمةٍ يلفظ بها لسانه.

وفي يومٍ من أيام الشتاء، بسط السحابُ أجنحته على الشمس فغابت بلا شروقٍ ولا غروبٍ، فاشتدَّ برْدُ ذلك اليوم. وكان كعادته يجلس بعد صلاة العصر على كرسيه بجوار الشرفة المطلة على حديقة البيت، ويدندن بكلماتٍ لعلها أذكّره المساء، لأنها سلاحه ضدَّ شرار الإنس والجن. وفجأةً يهتّز تليفونه المحمول، ويرنُّ بنغمةٍ كنغمة الجرس، فيقطع عليه خلوته اليومية، فأراد أن يقفل الخط، لكنه عندما رأى اسم المتصل على الشاشة ألغى فكرة قفل الخط، ليفتح عليه قائلاً: السلام عليكم يا إسماعيل.

فيرد عليه إسماعيل، وصوته لا يخلو من بُحّةٍ: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يا شيخ محمد.

- ماذا هناك؟

- الحالة التي أرسلتني إليها يا شيخ محمد...

قاطعته الشيخ محمد على الفور: ماذا حدث؟

- سوف أقصُّ عليك كلَّ شيء. لقد أخذتُ أقرأ الرقية الشرعية على هذه الحالة قرابة الساعتين حتى شعرت بالإرهاق والتعب، وعندما أوشكت أن أنتهي من القراءة، حدث أمرٌ غريبٌ لم أكن أتوقَّعه.

- ماذا حدث؟

- لقد تكلم معي.

- هذا ليس بالأمر الغريب، بل و متوقَّع أيضاً.

- نعم، أعلم ذلك، ولكن الغريب ما قاله.

- ماذا قال؟

- في البداية تكلم معي بلغة لم أفهمها، فوضّحت له أنني لم أفهمه، وبعدها بدقائق قليلة، تحدّث بلغتنا، وكان صوته حادًا غليظًا كله غضب وهو يقول: "توقف عن القراءة ولا تتعب نفسك كثيرًا؛ فأنا لن أخرج من هذا الجسد إلا إذا جاء الشيخ محمد؛ فبيني وبينه مسألة حساب ولا بد من تسويتها".

ضحك الشيخ محمد ضحكة خفيفة: أقال لك ذلك؟

- نعم.

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

- لم أنفذ رغبته في عدم القراءة، واستمررتُ أقرأ حتى قال وصوته أشدّ حدة من المرة الأولى: "توقف إنني أحذرك". ولم أستمع لكلامه، وظللت أقرأ اعتقادًا مني أنه على وشك الخروج، حتى فوجئت بأن الشخص الذي أقرأ عليه قام، وأخذ يضربني بكل قوته رغم كبر سنه، وهي ليست قوته بل قوة الجني، ولم تكن أيضًا قوته الحقيقية، لأنه كان يضربني ضرب تحذير وتخويف، ولم يتوقف الضرب عني حتى أمسكه من كان معنا في جلسة القراءة، وخرجت مسرعًا خوفًا من أن يحدث شيء آخر، ثم اتصلت بك لإخبارك بما حدث.

- يكفي ذلك، ولا تذهب إليه مرة أخرى.

- والآن ماذا ستفعل يا شيخ محمد؟

- سأذهب لمقابلته لمعرفة نوع الحساب.

ثم أنهى الشيخ محمد مكالمته مع إسماعيل، وأخذ يندندن مرة أخرى ليكمل أذكار المساء، ثم سمع وقع أقدام على الأرض، فاتجه بنظره ناحية الصوت، فكانت زوجته متجهةً إليه، فلمّا وقفت أمامه وهمّت بالكلام، أشار إليها أن تنتظر حتى ينتهي من أذكاره، فسحبت كرسيًا، وجلست أمامه حتى انتهى، ثم قالت على الفور قبل أن يتكلم معها:

- شيخ محمد، لقد رأيتُ لك اليوم رؤيا غريبة.

- تفضّلي قصّي عليّ ما رأيت. لعله خير.

- رأيتك تطير في الهواء وفي يديك سيفٌ تقاثل به يمينًا ويسارًا، ولكن لم أر تقاثل من، كأنك تقاثل الهواء. وفجأة رأيت رُمحًا يطير في الهواء متجهًا نحوك، ومن خوفي عليك قمّت من النوم مفزوعةً، فاستعدت بالله من شر ما رأيت، ونفثت عن يساري ثلاثًا، وتعوّذت بالله من الشيطان الرجيم، وغيّرت الجنب الذي كنت نائمةً عليه إلى الجنب الآخر، ثم قمت فصليت ركعتين. وكنت أنوي ألا أحدثك بها، ولكن لا أعرف لماذا غيرت رأيي. قد يكون ذلك بسبب خوفي عليك.

فضحك الشيخ محمد ضحكته الخفيفة المعتادة، وقال: أحسنت صنعًا. لعله خير، ولا تشغلي بالك.

وفي صباح اليوم التالي، أشرقت الشمس فأرسلت أشعتها الدافئة، وقبل دخول وقت الضحى، كانت بين أحضان السحاب لتختفي أشعتها من على الأرض، وهكذا أيام الشتاء؛ تظهر الشمس مرةً، وتختفي مراتٍ. وفي هذا الوقت تحرك الشيخ محمد نحو منزل العم فؤاد صاحب الحالة الممسوسة، وكان عمره يناهز السبعين بقليل، حيث كان يعمل قبل خروجه على المعاش كاتباً بالمحكمة الابتدائية بالأقصر، وفي صبيحة أحد الأيام أصيب بحالة تشنُّج غريبة، وبعد رحلة ليست بالقصيرة علي الأطباء، لم يكن هناك تقدُّم في الحالة؛ فالتشنج ما زال موجوداً، حتى زاره أحد أصدقائه يوماً، ودلَّه على الشيخ محمد قائلاً له: ربما يكون هناك سبب آخر.

وأخذ العم فؤاد بنصيحة صديقه، واتصل بالشيخ محمد، ولم يكن الشيخ محمد بالشخص الغريب للعم فؤاد؛ فهو من سكان منطقته. وتفهَّم الشيخ محمد حالته، فأرسل إليه أحد معاونيه وهو إسماعيل، ثم حدث ما حدث.

وبطرقات خفيفة دقَّ الشيخ محمد باب العم فؤاد. وبعد الاستقبال والترحاب، جلس الشيخ محمد بجوار العم فؤاد على الأرض واضعاً يده على رأسه، وأخذ يقرأ الرقية الشرعية، فبدأ بالثناء على الله سبحانه وتعالى، ثم الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ثم قرأ سورة الفاتحة وأوائل سورة البقرة وآية الكرسي، ثم توالى بعد ذلك الآيات. وبعد زمنٍ لا يتعدَّى نصف الساعة، جاء صوتٌ - من حيث لا ترى صاحبه ولكنه يراك - على لسان العم فؤاد. صوتٌ كعادته لا يخلو من الحدة والغلظة والغضب قائلاً: توقف عن القراءة يا شيخ محمد.

فيرد عليه الشيخ محمد بصوته نفس الشدة: لقد تكلمت أخيراً. إذا كنتَ خائفاً على نفسك من القراءة، فأخرج من هذا الجسد وإلا فسوف أستمِر في القراءة، وأنت تعرف ماذا سيحدث لك بعد ذلك.

الجنى: اسمعني جيداً... أنت لن تستطيع إخراجي من هذا الجسد لأنني لست وحدي الذي أسكنه، بل عشيرتي بالكامل، وهم كُنُزٌ، فأنا الأمير (دمرياط) أمير الجن في هذه المنطقة، وقد أمرت عشيرتي كلها أن تسكن معي في هذا الجسد. ولم يكن هو المقصود؛ فأنت مقصودنا ومرادنا.

تعجب الشيخ محمد من كلامه، وقال له: ماذا تقصد بكلامك هذا؟

الأمير دمرياط: أنا كما قلت لك أمير الجن لهذه المنطقة، وكما تعرف، إنَّ لكلِّ منطقة أميراً، ولقد كان لي ابن وحيد لم أنجب غيره يبلغ عمره التسعين، وقد أعجب بإحدى الفتيات التي تسكن في هذه المنطقة، فسكن في جسدها. وأخذت أنت تقرأ على هذه الفتاة، ولم تدع ابني يخرج حياً من جسدها، فقامت بإحراقه، فأقسمتُ على الانتقام منك، فسكنت أنا وعشيرتي هذا الجسد. ولأنني أعلم أنه من منطقتك، فإنك سوف تكون أول من يقرأ عليه.

الشيخ محمد بثقته المعتادة في هذه الحالات: ولماذا لم تخشَ على نفسك من أن أحرقك.

- لأنني أمرتُ قومي ألا يخرجوا من هذا الجسد إذا حُرقت. وكما قلت لك نحن كثيرون، فلن نستطيع إحراقهم جميعاً.

- سوف أستعينُ بأشخاصٍ آخرين يقرءون معي، وسوف نخرجكم جميعًا.

- حاول، وسوف ترى ماذا سأفعل.

- أرني ماذا ستفعل؟

وفجأةً اندلعت النيران في أحد أركان البيت، وظلَّت مشتعلةً في مكانها، ثم قال الأمير دمرياط: لقد أمرتُ أحد الجن من قومي أن يخرج من الجسد ويشعل النار في أحد أركان البيت، ولا يمتد بها إلى مكانٍ آخر حتى لا تأكل البيت، لأن هذا إنذارٌ لك.

أخذ الشيخ محمد نفسًا عميقًا: لقد سمعتُ بما فيه الكفاية. اسمعني أنت جيدًا. أنا لم أحرق ابنك بدون تحذيره، وطلبت منه أن يخرج من جسد الفتاة بدون مشاكل، ولكنه رفض، وأصرَّ على البقاء في جسدها لأنه أحبها، وأنا لم أرض بذلك، فحذرته مرة ثانية وثالثة وهو يرفض في كل مرة. وبعد أن عجزت أن أخرجه بسلام، قمت بإحراقه؛ فهذه الفتاة لم تتزوج بعد ولا تستحق ذلك.

غضب الأمير دمرياط، وصرخ صرخةً تقشعرُّ لها الأبدان: بل تستحق لأنها كانت تغريه، ورأى ابني فيها ما يعجبه، وذلك أكثر من مرة، فاستأذنتني أن يسكن في جسدها، فأذنت له.

الشيخ محمد متعجبًا: تُغريه! كيف كان ذلك؟

- كانت تتباهى بنفسها كثيرًا أمام المرأة في الحمام، وهذا عيبكم أيها البشر. تظنون أنكم تعيشون وحدكم وأننا لا نراكم. وإذا علمتم أننا نعيش معكم ونراكم من حيث لا تروننا، لم تحترموا وجودنا معكم، فتفعلون أماننا أفاعيل لا تفعلونها أمام بعضكم، وأنتم غير محصنين منا، فنشعر بضعفكم، فيكون هذا سبيلنا لمسيكم.

- ولكن كيف نتحصن منكم؟

- أنت تعلم جيدًا كيف يكون التحصن؛ فلقد أعطاكم نبيكم أذكارًا لو تحصنتم بها لكنتم في أمان منا. ولولا تحصنك كلَّ يوم صباحًا ومساءً، لكان جسدك هو سبيلي للانتقام منك.

- والآن ماذا تريد؟

- الانتقام.

- كيف؟

- أن تترك المنطقة التي أنا أميرها، وترحل.

- وإذ لم أفعَل؟

الأمير دمرياط (وقد اشتد غضبه): سوف أستعينُ بكلِّ الجن القريب من منطقتي لمسِّ كل شخص في منطقتك، وليس ذلك فقط، بل وكل إنسان قريب منك، بدايةً من أهلك وأبنائك. والآن، ماذا تقول؟

- أمهلني للغد، وسوف أُرُدُّ عليك.

- الغد فقط ولا مماطلة.

جلس الشيخ محمد منفردًا بنفسه، يفكر فيما سيفعله في هذه الحالة الممسوسة بعشيرة كاملة من الجن. هو يستطيع أن يُخرج ما في هذا الجسد الممسوس، ولكن مع كثرتهم سوف يقضي وقتًا طويلًا، وفي نفس الوقت لا يستطيع أن يترك منطقتَه التي عاش فيها، ويرحل وينهزم أمام الأمير دمرياط. فالحل الوحيد الذي أمامه هو أن يجعله يأمر عشيرته بالخروج من الجسد، ويبقى هو وحده. في هذه الحالة، سيستطيع التخلص منه. ولكن كيف ذلك؟ هذا هو السؤال الذي ظل يفكر في إجابته.

تذكر رؤيا زوجته، فانتعش قلبه فرحًا لأنه كان فيها كالبطل المغوار الذي يحارب الجن. وتذكر الرمح الذي كان متجهًا نحوه، فقال في نفسه: لعله من ذلك الأمير الجني دمرياط الذي يريد الانتقام مني.

فأخذ نفسًا عميقًا، وحركَ شفثيه همسًا بالاستغفار لعله يجد حلاً. ومضت ساعات النهار لتحل محلها ساعات الليل، والشيخ محمد كما هو في مكانه لا يتحرك إلا من أجل الصلاة. ولأول مرة أصابه القلق والحيرة، وخشي أن تمضي ساعات الليل ولا يجد حلاً، حتى أغمض عينيه فأخذته سِنَّةٌ من النوم وهو جالس في مكانه، فرأى رؤيا أن رُمحًا كان متجهًا إليه وهو يطير في الهواء، وعندما لمحهُ ببصره، مال بجسده في اتجاه عكس اتجاه الرمح ليمسكه بيده، ثم يرميه في الاتجاه الذي جاء منه، فيسمع صرخةً مدويةً لمصابٍ سقط قتيلاً. ويستيقظ الشيخ محمد على صوت هذه الصرخة، وهو يكبر ويهلل، ويقول: إذاً هذا هو الحل. لا بد من القتال. وكأن هذه الرؤيا هي تنمَّةٌ لرؤيا زوجتي. الله أكبر... الله أكبر.

وبعد صلاة الفجر، تسلَّح الشيخ محمد بأذكار الصباح حتى طلعت الشمس، ثم تحرك بعدها لمنزل العم فؤاد، وجلس بجواره واضعًا يده على رأسه، وأخذ يقرأ الرقية الشرعية حتى تكلم الأمير دمرياط.

الأمير دمرياط: شيخ محمد، توقف عن القراءة، وقل لي أنك سوف تترك المنطقة وترحل.

الشيخ محمد (والثقة بالنصر تملأ جوانحه): قبل أن أترك المنطقة، يجب عليك أولاً أن تترك هذا الجسد، أو على الأقل أن تأمر عشيرتك أن يتركوه، وتبقى أنت وحدك. أم إنك تخاف مني؟!

فيضحك الأمير دمرياط ضحكته القوية، فيهتز لها جسد العم فؤاد، ويقول: أخاف منك! سوف ترى الآن ماذا سأفعل... أيتها العشيرة، أنا أميركم آمركم أن تتركوا هذا الجسد، وترحلوا فوراً.

- هل أنت صادق فيما قلت؟

- ولماذا لا أكون صادقاً؟

- لأن الصدق صفة من صفات المتقين، وأنت غير ذلك.

- أنتم أيها البشر تكذبون أكثر منا. بل إن كذبكم هو الذي جعلكم فريسة سهلة لنا وإن الصدق من التقوى، وأنتم تنقصكم التقوى، ولو كانت عندكم التقوى، ما استطعنا أن نمسككم.

- هل تعلم شيئاً من أمور ديننا؟

- نعم؛ فأنا أعلم الكثير.

- فلماذا لم تُسلم؟

- لقد رأيت منكم أعمالاً وأفعالاً، نحن الجن لا نستطيع عملها أو حتى التفكير فيها، فكنت أقول لعشيرتي: هؤلاء البشر أذيتهم أفضل من تركهم. وسأضرب لك مثلاً. اسأل صاحب الجسد الذي أنا فيه لماذا كان يأخذ الرشاوى من الناس. ولكنك تستحي أن تسأله، أمّا نحن فلا نستحي أن نمسه، لأنه يستحق ذلك.

- وبالطبع ما رأيته جعلك تنفر من الإسلام والمسلمين.

- نعم، هو ذلك بالفعل.

- ولذلك سمحت لابنك أن يمس ويسكن جسد الفتاة.

- نعم.

- ما رأيك لو عرضت عليك الإسلام أنت وعشيرتك، فأنا أمامك، ماذا رأيت مني؟ هل رأيت شيئاً تنكره؟

- لا.

- إذاً لا تُعمم حكمك علينا. إن كان فينا العصاة والمذنبون فهذه فئة من الناس، ممكن أن تتوب في أي وقت، وسوف تكون أفضل منكم.

- نحن الآن لسنا بصدد أن تعرض عليّ الإسلام؛ فهذا ليس موضوعنا. أنا أريدك أن ترحل عن المنطقة.

- بل هو موضوعنا، فأنا أخيرك، إما أن تُسلم فتسلم، وإما أن تترك هذا الجسد وترحل بلا رجعة إليه مرة أخرى، والخيار الثالث أن أفعل بك مثل ما فعلت بابنك.

الأمير دمرياط (وهو لا يصدق ما يسمع): ماذا تقول؟ أنتحايلى عليّ؟ تجعلى أمر عشيرتى بالخروج، ثم تريد أن تنفرد بى! ليس بينى وبينك إلا القتال.

الشيخ محمد: إذا القتال.

وبسرعة وضع الشيخ محمد يده على رأس العم فؤاد، وأخذ يتلو ويقرأ الرقية الشرعية بصوت عالٍ، ويدخل فجأة إسماعيل، ويضع يده هو الآخر على رأس العم فؤاد، ويقرأ الرقية الشرعية، حيث تم الاتفاق بينه وبين الشيخ محمد، أن يدخل بسرعة عندما يسمعه يقرأ بصوت عالٍ، ويقرأ معه، وذلك يجعل الأمير دمرياط يضعف، ولا يعطيه الفرصة للاستغاثة بعشيرته، ويسهل خروجه من الجسد، حيث كان يصرخ ويحاول أن يستغيث بعشيرته مرة أخرى، والشيخ محمد وإسماعيل يزيدان عليه في القراءة، فأصبح يصرخ من قراءة القرآن وقوة الآيات عليه، وحاول أن يجعل العم فؤاد يعتدي عليهما، فأمسكه إسماعيل بقوة، والشيخ محمد يقرأ، والجنيدمرياط يصرخ رعبًا وخوفًا حتى قال: سوف أخرج. كفاكم قراءة. والشيخ محمد لا ينصت إليه، ويستمر في القراءة، ويشير إلى إسماعيل أن يستمر في القراءة هو أيضًا، والجنى يصرخ: صدقنى يا شيخ محمد كما صدقت معك من قبل. ويتوقف الشيخ محمد، ويأمر إسماعيل بعدم التوقف عن القراءة، ثم يقول له: إياك والكذب معى، وإلا فسوف أجعل لعشيرتك أميرًا غيرك.

الأمير دمرياط (بعد أن خارت قوته وضعف صوته): أنا لا أكذب. سوف أخرج.

- بل أريد منك أيضًا أن تترك منطقتى وترحل بعيدًا.

- سأفعل كل ما تريد، ولكن قل لإسماعيل أن يتوقف عن القراءة، لأننى أشعر أننى سوف أحترق.

-أخرج أولاً وبعدها سيتوقف عن القراءة.

- الآن سأخرج. لكن تذكر، لا بد من أن نلتقى مرة أخرى.

وأخذ يضحك بصخب، واستمرت ضحكة حتى اختفت مرة واحدة، ثم توقف إسماعيل عن القراءة، وكان جسد العم فؤاد منهكًا ومتعبًا حتى سقط على الأرض مغشيًا عليه، فنضحوا على وجهه الماء حتى استيقظ وقام من غشيته، ولم يتركه الشيخ محمد حتى اطمأن عليه.

وسار الشيخ محمد في طريقه للعودة إلى منزله، وهو يشعر بالإرهاق والتعب، وبجواره إسماعيل، ثم توقف فجأة، وأخذ ينظر من خلفه وعن يمينه وعن يساره وهو يردد هذه الآية: (إنه يراكم هو و قبيله من حيث لا ترونهم).